سينما

مايوان في مشهد من «بوليس»

يوم دخلت مايوان قسم الـ Polisse

اتفق النقّاد والجمهور على الترحيب بالشريط الروائي الطويل للممثّلة الفرنسيّة المعروفة... العمل الحائز جائزة لجنة التحكيم في مهرجان «كان» الأخير، ترك وقعاً إيجابياً بفضل نبرته الإنسانيّة. polisse يصل إلى صالة «متروبوليس أمبير صوفيل»، محملًا بانشغالاته النفسيّة، وقلقه الوجودي

باريس ــ **عثمان تزغارت**

في شريطها «بوليس» الحائز جائزة لجنة التحكيم في مهرجان «كان» الأخير، تواصل الممثّلة والمخرجة الفرنسية مايوان (1976) سبر أغوار الجوانب الأكثر قتامة وإشكالية في الطبع البشري. تنطلق عروض العمل التجارية في صالة «متروبوليس أمبير صوفيل» (الأشرفية/ بيروت) في نهاية الشهر الحالي، بعدما أتيح للجمهور البيروتي مشاهدة الشريط ضمن برنامج «مهرجان السينما الأوروبيّة 18» الأخير... لكنّ عرضاً واحداً لم يكن كافياً للاطلاع على أحد أهمّ اكتشافات الفنّ السابع في عام 2011. تنسج مايوان (ابنة الممثّلة كاترين بلخوجة) في «بوليس» بورتريهاً جماعياً لفرقة شرطة في «كتيبة حماية القاصرين» الباريسية، ضمن شريط مؤثّر أبهر الكروازيت في أيار (مايو) الماضي (الأخبار . 2011/05/14). تستكمل المخرجة الشابة ثلاثيةً نفسيّة مشحونة بالتوتر والقلق الوجودي، بدأتها مع «سامحوني» (2006) و«حفلة المثلات» (2009). أفلامٌ كرّستها كأحد أبرز الوجوه النسائية في السينما الفرنسية خلال العقد الماضي. قوبلت هذه الأعمال بحفاوة نقدية لافتة، وحظيت برواج شعبي متزايد، تُوّج بمليونين ونصف مليون متفرج، شاهدوا «بوليس» منذ طرحه في الصالات الفرنسية أواخر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي.

يندر أن يتّفق النقاد والجمهور على سينمائي أو سينمائية ناشئة في بلد «الأخوين لوميير»... فكيف إن كان الأمر متعلّقاً بمخرجة عرفت الشهرة كممثلة في الأصل؟ وهذا تحوّلٌ يقابَل بالكثير من التحفُّظ في الأوساط السينمائيّة الفرنسيّة عادةً، لكنّ مايوان مثّلت استثناءً. باكورتها «سامحوني» كانت مفاجأة الموسم عام 2006، إذ رُشّحت لجائزتَيْ «سيزار» (أفضل «عمل أوّل»، وأفضل «أمل نسائي»). ثمّ جاء عملها الثاني «حفلة المثلات» (2009)، ليكرّس مكانتها كمخرجة واعدة تحمل بصمات أسلوبية مميزة، ورؤىً إخراجية مغايرة عن الرائج في السينما الفرنسية الراهنة. ومن ميزات شريطها الثاني، أنّه كسر الهالة المحيطة بمايوان الممثلة، من خلال تفكيك آليات الشهرة الفنية، عبر بورتريهات حميمة لـ 12 ممثلة قمنَ بأداء شخصياتهنّ الحقيقية على الشاشة، من كارين فيار إلى جان بالبيار، مروراً بشارلوت رامبرلينغ وجولي دوباردیو، وصولاً إلى المخرجة نفسها. ثمّ جاء «بوليس»، ليمثّل العمل الأكثر نضجاً واكتمالاً في ثلاثية المخرجة الصاعدة. بعدما صفّت في عملها الأوّل حسابات (وعُقد) طفولتها المعذّبة في كنف والدتها الممثلة ذات الأصل الجزائري كاترين بلخوجة، وبعدما فكّكت آليات ومطبّات النجومية والشهرة في عملها الثاني، تطلّعت الأنظار إلى «بوليس» بوصفه أوّل عمل لمايوان خالٍ من السيرة... لكنّ ذلك لم يمنعها من المزاوجة فيه بين التوثيق والتخييل، كما فعلت في عمليها السابقين. وبهدف استلهام قصة الفيلم عن عمل شرطة القاصرين، طلبت مايوان من السلطات إذناً خاصاً لمتابعة عمل فرقة حقيقية، عايشتها يومياً على مدى أشهر. ومن هذه التجربة اقتبست شخصية المصوّرة الصحافية ميليسا، التي تقمّصتها بنفسها على الشاشة، وحمّلتها الكثير من شخصيتها وتجربتها الذاتيّة. تبدو ميليسا في بداية الفيلم فنانةً فرنسيةً مثقفةً وميسورةً، قادمة من عوالم اليسار المخملي الباريسي. وشيئاً فشيئاً، تتكشّف أصولها المهاجرة الجزائرية البسيطة بعد ارتباطها بعلاقة عاطفية مع مفتش الشرطة فريد الذي أبدع نجم الراب، جوي ستار، في أداء شخصيته الإشكالية والقلقة. شخصيةٌ تخفي وراء العنف الذكوري الظاهري، تمزّقاً نفسياً مؤثراً، ونفساً إنسانياً يبرز إلى الواجهة حين ينهار أمام فشل فرقته في الحوؤل دون فصل طفل أفريقي عن والدته التي فقدت بيتها وعملها، ووجدت نفسها مرميّة في الشارع. نكتشف أنّ فريد عاش بدوره تجربةً طفولية مماثلة.

> **تحيل التجربة على «الموجة الجديدة» بتخليها عن الحبكة التقليدية**

حسّ الشريط الإنساني، جعله محطّ حفاوة نقديّة كبيرة، لكنّ نقطة القوّة الأساسيّة فيه كانت بنيته الأسلوبيّة. على صعيد الشكل، لفت الفيلم الأنظار برؤية تصويرية متوترة، تشبه التحقيق التلفزيوني من خلال استعمال الكاميرا المتحركة المحمولة على الكتف، يضاف إليها إيقاع سريع في المونتاج، ينضح بالصخب والعنف. أما على صعيد المضمون والبنية الإخراجية، فيقف الفيلم ـ ككلّ أعمال مايوان ـ في موقع الوسط بين إرثين فنيين، يعودان إلى حقبة الستينيات: «الموجة الجديدة» الفرنسية من خلال التخلّي عن السيناريو والحبكة الحكائية التقليدية لإفساح المجال أمام التجريب والارتجال، و«الواقعية الجديدة» الإيطالية في المنحى النفسي الذي يسبر أغوار الطبع البشري، بهدف رسم بورتريهات اجتماعية تتقاطع وتتداخل، لترسم صورةً إنسانية مؤثرة، تسائل انشغالات الراهن، وتعكس سمات العصر...

Polisse: في صالة «متروبوليس أمبير صوفيل» (بيروت) نهاية كانون الثاني (يناير) الحالي. للاستعلام: 01/204080

أمام الكاميرا أيضاً

قبل أن تخوض تجربتها الإخراجية الأولى في الثلاثين، عرفت مايوان الشهرة كممثلة منذ كانت في الثالثة، إذ أرغمتها والدتها الممثلة كاترين بلخوجة على خوض تجربة التمثيل. وأدت أول دور بارز على الشاشة في السابعة في فيلم «الصيف القاتل» (1983) لجان بيكر، إذ جسّدت المعادل الطفولي لشخصية الفيلم المحورية إليان (إيزابيل أدجاني). في عام 1991، رُشحت لـ «سيزار» أفضل ممثلة واعدة عن دورها في «الصبية» لهيرفيه بالو. وخلال حفلة توزيع الجوائز، تعرّفت إلى المخرج لوك بوسون، وتزوّجت به في العام الموالي، وكانت لا تزال في السادسة عشرة. وبخلاف كلّ الممثلات اللواتي تزوجهنّ صاحب «جان دارك»، لم تمثّل مايوان في أفلامه إلا دورين صغيرين في «ليون» (1994) و«العنصر الخامس» (1996). بعد سبع سنوات من الإقامة في هوليوود، انفصلت عن بوسون وعادت إلى فرنسا، ومن أبرز الأعمال التي مثّلت فيها «الباريسيون» (2004) و«شجاعة الحب» (2005) لكلود لولوش.

وثائقي

«واحد متلي» في المخيمات الفلسطينية

روي ديب

في «واحد متلي» (20 د)، يتبع المخرج فيليب بجالي الشاب اللبناني علاء وهو يستكشف مخيّم برج البراجنة في بيروت، برفقة صديقه الفلسطيني عمر. يضيء الوثائقي على حياة الشباب الفلسطيني، والتحديات التي تواجهه. الشريط الذي يُعرض اليوم في «مسرح المدينة»، يندرج ضمن مشروع «الكرامة للجميع»، الهادف إلى تقليص الهوّة بين اللبنانيين واللاجئين الفلسطينيين. وهو مبادرة أطلقتها «الأونروا» بتمويل من «مكتب المفوضية الأوروبية للمساعدات الإنسانية والحماية المدنية».

> **لا بد من سؤال: إلى أي جمهور تتوجه مثل هذه الأفلام؟**

يقودنا الشريط إلى داخل المجتمع اللاجئ في برج البراجنة. نزور بيت عمر، وأزقة المخيم، ونستمع إلى هواجسه، وتجربته في الاندماج داخل المجتمع اللبناني. وبموازاة ذلك، تأخذنا الكاميرا خلف علاء في رحلته الأولى إلى داخل مخيّم البرج، لنتوقّف عند وضعه المأساوي...

يحاول «واحد متلي» الإضاءة على تباين الآراء بين اللبنانيين إزاء اللاجئين. تلتقط الكاميرا مقابلات في الشارع مع بعض المتعاطفين مع القضية الفلسطينية، وأخرى مع الرافضين للوجود الفلسطيني في لبنان. «واحد متلي» كما يقدّمه القيّمون عليه، يحاول تقريب وجهات النظر بشأن موضوع شائك كالوجود الفلسطيني في لبنان، لكنّه في الوقت نفسه يثير قلقاً جدياً بشأن أسلوب ومنطق الخطاب الذي يطرحه اليوم، إذ إنّ تركيبة العمل تُبقي الفصل الأساسي موجوداً من دون تسميته، كأنّها ترسّخه من دون قصد. صحيح أنّ المجتمع اللبناني منقسم حول الوجود الفلسطيني في لبنان، والآراء تتناقض بين المارّة في شارع الحمرا، وساحة ساسين، رغم أنّ الفيلم تفادى الذكر الواضح للمنطقتين... لكنّ دافع علاء، تلميذ «جامعة بيروت العربية»، والمناصر للقضية الفلسطينية، إلى زيارة المخيم، لا يقدّم بدوره أي جديد. لماذا لم يحاول فريق العمل دعوة أحد معارضي الوجود الفلسطيني

في لبنان إلى زيارة المخيم لمجابهة أفكاره المسبقة؟ هل يحكمون بذلك مسبقاً على استحالة الحوار؟ وكما نعلم للأسف، فجمهور الفيلم سيقتصر على الأرجح على مناصري القضية الفلسطينية. لهذا، فهو لن يسهم في تعريف الآخر بمعاناة اللاجئ الفلسطيني.

ويبقى السؤال: لماذا تُصنع أفلام مماثلة؟ وإلى مَن تتوجّه؟ وهل تصوَّر حصراً لتذكير من يعلم أنّ المأساة ما زالت قائمة؟ أم لتصفية ذمة المفوضية الأوروبية؟ هذه أسئلة ملحة ومشروعة تنطبق على أعمال كثيرة تقارب هذه القضية. اللافت أنّ الطرح منذ ستين عاماً ما زال يتفادى المواجهة. في صربيا وإيرلندا وبلاد عديدة عاشت حروباً مريرة، استطاع الفن أداء دور طليعي في تقليص الهوة بين الجلاد والضحية، ولم يحدث ذلك سوى عبر المواجهة. ألم يحن الدور كي يؤدي الفن هذا الدور، ولو تحت مظلة الجمعيات المدنيّة ذات الأجندات المعقّدة؟

«واحد متلي»: 6:00 من مساء اليوم ـ «مسرح المدينة» (الحمرا/ بيروت). للاستعلام: 01/744034